غير موجود. قد يؤثر التحريض حينئذٍ، ضمن ظروف معيّنة، ولكن تأثيره يكون محدوداً، وتؤلف العناصر المحرِّضة لتحطيم التماسك الوطني نشازاً، وتُنبذ، أو تعاقب، أو، في أسوأ الاحتمالات، لا تكون قادرة على التخريب.

هل يوافق الرأي العام اللبناني على المجزرة؟ هل يوافق المسلم، أو المسيحي، المتحضر، على مجموع الجرائم البشعة التي حصلت، وعلى عدم احترام الموت، والتمثيل بالجثث بشكل مخيف؟ أيمثّل الفاعلون حقاً، والى أي مدى، الطائفة، أو الطوائف، التي يدعون بتمثيلها؟ الواقع انهم لا يمثّلون؛ ولا يمكن ان يمثّلوا. ولئن كانت الظروف القاسية، التي تمر بالمنطقة جعلتهم يفرضون تمثيلهم، فان ذلك لا يجعل من مثل هذا «التمثيل» واقعاً اجتماعياً، أو تاريخياً.

المجزرة هي جزء بشع من مجموعة مآس، دفع فيها الشعب اللبناني، والوطن اللبناني، غالياً، نتيجة للأوضاع الرجعية التي سادت فيه منذ الاستقلال.

تكوّن لبنان المستقل على أساس طائفي. فالسلطة والامتيازات مقسّمة فيه على الاقطاعات الطائفية الموجودة. وكل حصّة من الحصص الأساسية، أو الفرعية، يقتسمها زعماء الطائفة الواحدة فيما بينهم: فلان له منطقة انتخابية معيّنة، وتلتف حوله عصبة متحالفة معه، أو يؤلف هو جزءاً من العصبة الملتفّة حول زعيم آخر؛ وفي ضوء ذلك، تحدّد حصّته الفردية.

ادارة الدولة هي غنيمة موزّعة؛ والوطن هو غنيمة موزّعة، بمختلف امتيازاته المادية ـ المعنوية: فلان ملكيته الكبيرة في المنطقة الفلانية، وفي المنطقة ذاتها حزبه، أو كتلته الانتخابية، أو محميته لزراعة المخدرات، او لأي نشاطات مشروعة، أو غير مشروعة، تدرّ الارباح.

في المدينة، أيضاً، الامتيازات مقسّمة، وان تكن الحدود غير دقيقة. قد يكون للزعيم حيّه، ومؤسساته؛ وقد يكون زعيماً صغيراً له عصابته (زله)، ويؤلف رافداً انتخابياً اضافة الى نشاطاته الأخرى.

بقيت هذه الصورة العامة منذ الاستقلال على حالها تقريباً، على الرغم من التطوّر، سواء في النسيج الاجتماعي، أم في الظروف المحيطة، الداخلية والخارجية. الشعب غير طائفي، ويتصل ببعضه عبر كل أقنية الاتصال المتاحة؛ عبر الزواج مثلاً، وعبر تفاصيل الحياة اليومية. لكنه محاصر بالطائفية من كل جانب: القانون طائفي، والوظائف طائفية، والانتماءات طائفية، ومورد الرزق طائفي، والمدارس طائفية. زيادة على ذلك، كان من مصلحة بعض قادة الرأي العام (محامين وأطباء ومهندسين) تغذية الطائفية، امّا نتيجة تربيتهم الايديولوجية، أو نتيجة سعيهم الى الحصول على زبائن لهم من الطائفة نفسها. طبعاً، ليسوا كلهم كذلك، ولا يمكن نسيان العدد الكبير من المثقفين التقدميين والوطنيين، الذين لعبوا أدواراً مشرّفة في تاريخ لبنان الحديث. لكن هذا لا يمنع كون عدد الطائفيين كبيراً.

بقي «الزعماء» الكبار والصغار مرتاحين للوضع الاقتصادي في البلاد. وكان يقال في المحاضرات الجامعية ان اقتصاد لبنان يعتمد في «ازدهاره»، الى حد كبير، على الموارد المستوردة، أي الموارد الناتجة عن التجارة المثلّثة (الجنس والمخدرات والخدمات السياسية). معنى ذلك، ان هذه التجارة (غير المشروعة عرفاً) متفق عليها بين مختلف الأطراف المقتسمة لغنائم لبنان.

كان الواقع الهام في المنطقة العربية، منذ الخمسينات، يتمثّل باتساع موجة حركة التحرر الوطني، أي بازدياد حدّة الصراع بين التيارات التحررية العربية وادارات الدول الرأسمالية